تقدير موقف بعنوان

أزمة الرسوم الفرنسية المسيئة: ردود أفعال وسناريوهات محتملة الفرنسية

مها الشيخ

مقدمة

أقدمَ لاجئ روسي من أصل شيشاني يدعى عبد الله أنزوروف، يبلغ من العمر 18 عاماً على قتل صمويل باتي 48 عاماً في 16 تشرين الأول/ أكتوبر عام 2020؛ بسبب عرضه رسوماً كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد في إحدى مدارس فرنسا خلال حصة دراسية عن "حرية التعبير"، وتلك الرسوم كانت قد نشرتها صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية[1]. وبعد وقت قصير من الحادثة، قتلت الشرطة الفرنسية الطالب أنزوروف، واعتقلت 7 أشخاص بتهمة التواطؤ في جريمة قتل المدرس بقطع رأسه، من بينهم طالبان ووالد أحد تلاميذ الأستاذ باتي، وتمت إحالتهم للتحقيق القضائي[2]. وقد عُثر على رسالة في هاتف الطالب أنزوروف موجهة للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يُعبر فيها عن نيته الانتقام من الأستاذ الذي تجرأ على التقليل من شأن النبي محمد، وصورة المدرس باتي مقطوع الرأس، ونُشرت الرسالة والصورة على تويتر[3]. وصف الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون الحدث بأنه "إرهاب إسلامي"، وأضاف بأن "البلاد بأكملها تقف مع المعلمين، وأن الإرهابيين لن يقسموا فرنسا، وأن الظلامية لن تنتصر". وقد أدى ذلك التصريح إلى إثارة ردود فعل رسمية وشعبية عربية وإسلامية على نطاق واسع[4].

جذور قضية الرسوم المسيئة

تعود جذور قضية الرسوم الكاريكاتورية الساخرة من النبي محمد والإسلام إلى عام 1997، إذ قامت إسرائيلية تدعى تاتيانا سوسكن بتوزيع رسومات في مدينة الخليل، بعد رفض نشر تلك

---

[1] عرض على تلاميذه رسوماً مسيئة للرسول الكريم.. مصرع معلم فرنسي والشرطة تقتل المهاجم، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 2020/10/28
https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/10/16/بعد-أن-عرض-رسوما-كاريكاتورية-على

[2] "قتل المدرس الفرنسي: توجيه تهم لسبعة أشخاص في قتل صمويل باتي"، BBC بالعربية، تاريخ الزيارة: 2020/10/28
https://www.bbc.com/arabic/world-54644622

[3] "باريس: فتوى صدرت بحق المدرس الذي قُتل بقطع رأسه"، دويتشه فيله، تاريخ الزيارة: 2020/10/28
https://www.dw.com/ar/باريس-فتوى-صدرت-بحق-المدرّس-الذي-قُتل-بقطع-رأسه/a-55320701

[4] "ماكرون: المعلم الفرنسي المقتول ضحية "إرهاب إسلامي".. ومغردون يردون، الجزيرة مباشر، تاريخ الزيارة: 2020/10/29
http://mubasher.aljazeera.net/news/ماكرون-المعلم-الفرنسي-المقتول-ضحية-إرهاب-إسلامي-ومغردون-يردون-فيديو

الرسومات[5]. وفي 30 أيلول/ سبتمبر عام 2005، نشرت صحيفة يولاندس بوستن الدنماركية مقالاً بعنوان "وجه محمد"، مرفق باثني عشر من الرسوم الكاريكاتورية للصحفي كورت فيسترجارد تسخر من النبي محمد وتشوه صورة الدين الإسلامي. أثارت تلك الرسوم ردود فعل، فقد تظاهر الكثير من المسلمين في العديد من الدول العربية والإسلامية والعالمية، وشنوا حملة مقاطعة ضد المنتجات الدنماركية[6]، ووصل الأمر إلى حرق السفارة الدنماركية في دمشق[7]. بررت الصحيفة الدنماركية فعتلها بأن بعض المسلمين يرفضون العلمانية، وهم يطالبون بمنزلة خاصة في التعامل مع مشاعرهم الدينية، وهذا على حد زعمها يخالف الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي التي تفرض على الأشخاص تقبل السخرية والنقد والتسخيف[8]. ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد أعادت صحف أوروبية نشر ذات الرسوم، من بينها صحيفة شارلي إيبدو[9].

من هي شارلي إيبدو؟

تأسست الصحيفة الفرنسية شارلي إيبدو عام 1970 لتكون امتداداً لصحيفة هارا كيري الساخرة التي حظرتها الحكومة الفرنسية. يتضمن محتوى الصحيفة رسوماً كاريكاتورية، وأحياناً تحقيقات استقصائية، وهي ذات أيديولوجيا يسارية تنتقد اليمين المتطرف، وتستهزئ بكل المعتقدات الدينية. اتجاه الصحيفة التحرري اليساري جعلها تفقد قراءها وتمويلها الذي يعتمد على الإعلانات، فاختفت عام 1982، وعادت للظهور عام 1992[10]. وتعرض مقر هيئة تحرير الصحيفة عام 2011 للحرق؛ بسبب نيتها إصدار عدد خاص بعنوان "شريعة إيبدو" بعد إثارة الكثير من الجدل حوله[11]. وفي عام 2015، تعرضت الصحيفة لهجوم قتل على إثره 12 شخصاً[12].

---

[5] ثريا السنوسي، "إدارة الأزمات الإرهابية إعلامياً: أزمة "شارلي إيبدو" نموذجاً،" مجلة Arab Media & Society، عدد 21 (ربيع 2016): 14.
https://www.arabmediasociety.com/wp-content/uploads/2017/12/20160601112812_-.pdf

[6] خليل، ياسمين، تأثير نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد "صلى الله عليه وسلم" على المسلمين في الدنمارك، رسالة ماجستير (عمان: جامعة الشرق الأوسط، 2017)، 2.

[7] السنوسي، "إدارة الأزمات"، 14.

[8] ياسمين، تأثير نشر الرسوم، 3.

[9] المصدر السابق.

[10] هل دفعت شارلي إيبدو ثمن خطها التحريري "المستفز"؟، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 2020/10/31
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/1/9/هل-دفعت-شارلي-إيبدو-ثمن-خطها-التحريري

[11] فرنسا: "شارلي إيبدو".. تجربة صحفية ساخرة وجريئة، France 24، تاريخ الزيارة: 2020/10/31
https://www.france24.com/ar/20150107-فرنسا-صحيفة-ساخرة-شارلي-إيبدو-اعتداء-إرهاب

[12] وقائع الهجوم الدامي على مجلة "شارلي إيبدو" في قلب باريس، فرنسا 24، تاريخ الزيارة: 2020/10/31
https://www.france24.com/ar/20150107-وقائع-الهجوم-صحفية-شارلي-إيبدو-الساخرة-إرهاب-إسلاميون

ردود الفعل الرسمية

أثارت الرسوم المسيئة وتصريحات ماكرون ردود فعل العديد من رؤساء الدول العربية والإسلامية، والمؤسسات الدينية والسياسية الإسلامية. فقد أكد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي أن "الاستهانة بالأنبياء والرسل هي استهانة بقيم دينية رفيعة يعتقد فيها الكثير من البشر"[13]. بدوره، وصف رئيس جمهورية الشيشان، رمضان قديروف ماكرون بـ"الزعيم والملهم للإرهاب"، وحذره من التهجم على الرسول والإسلام، مضيفاً أن "عواقب تصريحات ماكرون يمكن أن تكون مأساوية للغاية"[14]. من جانبه، قال الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان "إن ماكرون بحاجة إلى اختبار قدراته العقلية"، وأضاف بتساؤل: "ماذا يمكننا القول لرئيس دولة لا يفهم حرية العقيدة، ويعامل الملايين من أتباع ديانة أخرى (المسلمين) في بلاده بهذه الطريقة"[15].

في الاتجاه نفسه، اعتبر شيخ الأزهر أحمد الطيب وصف ماكرون الإسلام بالإرهاب بأنه "يَنم عن جهل بهذا الدين الحنيف، ومجازفة لا تأخذ في اعتبارها احترام عقيدة الآخرين، ودعوة صريحة للكراهية والعنف، ورجوع إلى وحشية القرون الوسطى، واستفزاز كريه لمشاعر ما يقرب من ملياري مسلم"[16]. إضافة إلى ذلك، قال الطيب إن "هذه الرسوم المسيئة عبث وتهريج وانفلات وعداء صريح للدين الإسلامي ولنبيه الكريم"، وأضاف: "من المؤلم أن تتحول الإساءة للإسلام إلى أداة لحشد الأصوات والمضاربة في أسواق الانتخابات"[17]. من جهتها، أدانت الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي الإساءة للنبي واعتبرتها استفزازاً لمشاعر المسلمين تحت شعار حرية التعبير، وأكدت أن الإساءة للأنبياء وربط الإسلام بالإرهاب غير مقبول[18]. وأصدرت الأمانة العامة للمنظمة كذلك في 23 تشرين الأول/ أكتوبر 2020 بياناً أعربت فيه عن استغرابها من الخطاب

---

[13] الرئيس السيسي: الإساءة إلى الأنبياء والرسل هي استهانة بقيم دينية رفيعة، هيئة الاستعلامات المصرية، تاريخ الزيارة: 2020/11/1
https://www.sis.gov.eg/Story/212687/الرئيس-السيسي--الإساءة-إلى-الأنبياء-والرسل-هو-استهانة-بقيم-دينية-رفيعة?lang=ar

[14] قديروف لماكرون: توقف قبل فوات الأوان فالمشكلة هي أنت!، روسيا اليوم، تاريخ الزيارة: 2020/11/1
https://arabic.rt.com/world/1167839-قديروف-لماكرون-توقف-قبل-فوات-الأوان-فالمشكلة-هي-أنت/

[15] أردوغان: ماكرون بحاجة لاختبار عقلي، وكالة الأناضول، تاريخ الزيارة: 2020/11/2
https://www.aa.com.tr/ar/تركيا/أردوغان-ماكرون-بحاجة-لاختبار-عقلي/2017802

[16] شيخ الأزهر يرد على استخدام ماكرون المتكرر لمصطلح "الإسلام الإرهابي": "جهل واستفزاز"، بوابة الأهرام، تاريخ الزيارة: 2020/11/2
http://gate.ahram.org.eg/News/2505440.aspx

[17] شيخ الأزهر: الإساءة للنبي محمد ليست حرية رأي بل دعوة للكراهية، روسيا اليوم، تاريخ الزيارة: 2020/11/2
https://arabic.rt.com/middle_east/1150667-شيخ-الأزهر-الإساءة-للنبي-محمد-ليست-حرية-رأي-بل-دعوة-للكراهية/

[18] التعاون الإسلامي تذكر بحكم المحكمة الأوروبية الأوروبية لحقوق الإنسان القاضي بأن الإساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا تندرج ضمن حرية التعبير، موقع منظمة التعاون الإسلامي، تاريخ الزيارة: 2020/11/3
https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=24887&ref=15211&lan=ar

الرسمي الفرنسي المسيء للعلاقات الفرنسية الإسلامية، الذي ينمي مشاعر الكراهية لأجل مكاسب سياسية حزبية[19].

ردود الفعل الشعبية

أثارت الرسوم المسيئة وتصريحات ماكرون ردود فعل شعبية، أدت إلى خروج تظاهرات في الكثير من العواصم والمدن العربية والإسلامية والعالمية، مثل بنغلاديش، وباكستان، وفلسطين، والمغرب العربي، وأفغانستان، وليبيا، وغيرها[20]. في الاتجاه نفسه، أطلق رواد مواقع التواصل الاجتماعي هاشتاغ #إلا_رسول_الله، وهاشتاغ #ماكرون_يسيء_للنبي، وحصدا أكثر من 200 ألف تغريدة، كما نظموا أيضاً حملات مقاطعة للبضائع الفرنسية تحت هاشتاغ #مقاطعة_المنتجات_الفرنسية[21]. إضافة إلى ذلك، وقعت هجمات دامية أخرى ردّاً على الرسوم المسيئة وتصريحات ماكرون. وقع هجوم بالقرب من كنيسة "السيدة العذراء" في مدينة نيس جنوبي فرنسا، سقط على إثره 3 قتلى وجرح آخرون، وأثناء الهجوم، أطلقت الشرطة النار على أحد المهاجمين، وقد ذكر أن المشتبه به كان يردد "الله أكبر"[22]. وأصيب كذلك حارس أمن في القنصلية الفرنسية بجدة بجروح جراء طعن مواطن سعودي له بسكين[23].

الخاتمة

لا أحد يعترض على حرية التعبير، لكن حرية التعبير لا تعني الإساءة للرموز الدينية. لقد تجاوزت صحيفة شارلي إيبدو كل الحدود بالتطاول على الديانات، خاصة الإسلامية، وصبت تصريحات ماكرون الزيت على النار. رغم ذلك، يعتبر الرد بالعنف مرفوضاً ومُداناً.

بناء على ما سبق، تسير الأحداث في اتجاهين اثنين: يعبر الاتجاه الأول عن استمرار الوضع كما هو، أي أن تكمل شارلي إيبدو سياستها في الاستهزاء بالدين الإسلامي والنبي محمد، وتبقى تصريحات ماكرون تدعم الإساءة للإسلام وتزعم أنها حرية تعبير، وبالتالي، تستمر التهديدات والهجمات والتظاهرات من المسلمين، وتتعمق النظرة العنصرية ضدهم، أي تبقى الأمور في دائرة الرد ورد الفعل. يأتي ذلك في ظل تصاعد الخطاب ضد المهاجرين والأقليات، خاصة المسلمين،

---

[19] المصدر السابق.

[20] تظاهرات جديدة مناهضة لفرنسا في العالمين العربي والإسلامي، فرنسا 24، تاريخ الزيارة: 2020/11/3
https://www.france24.com/ar/الأخبار المستمرة/20201030-تظاهرات-جديدة-مناهضة-لفرنسا-في-العالمين-العربي-والإسلامي

[21] حملة مقاطعة السلع الفرنسية: هل باتت شعوب العالم في مواجهة مع ماكرون، BBC بالعربية، تاريخ الزيارة: 2020/11/3
https://www.bbc.com/arabic/interactivity-54694287

[22] 3 قتلى بهجوم في نيس الفرنسية ومصرع رابع برصاص الشرطة قرب أفنيون، الجزيرة نت، تاريخ الزيارة: 2020/11/4
https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/10/29/مقتل-شخصين-في-حادثة-طعن-بنيس-الفرنسية

[23] السعودية: هجوم بسكين على حارس في القنصلية الفرنسية بجدة، France 24، تاريخ الزيارة: 2020/11/4
https://www.france24.com/ar/الشرق-الأوسط/20201029-مواطن-سعودي-يعتدي-بآلة-حادة-على-حارس-في-القنصلية-الفرنسية-بجدة-ويصيبه-بجروح

وكذلك رفع الستار عن مشروع قادم يستهدف المسلمين تحت مسمى "مكافحة الانفصالية" في فرنسا، وهو مشروع اعتبرته الجالية المسلمة الفرنسية البالغ عددها نحو 6 ملايين أنه قد يؤثر عليها بشكل سلبي[24]. يضاف إلى ذلك تخوف ماكرون من قضية المجتمع الموازي في فرنسا الذي يشكله المسلمون[25].

يعبر الاتجاه الثاني عن توقف شارلي إيبدو عن النشر، أو التقليل من حجم الرسوم والمقالات المسيئة للإسلام والنبي محمد، وفي المقابل، قد تهدأ الأمور، خاصة بعد تصريح ماكرون في 31 تشرين الأول/ أكتوبر الذي قال فيه إنه يتفهم مشاعر المسلمين، وأضاف أن "كلامه حرّف، وردود الفعل جاءت بناءً على تحريف كلامه، لأن الناس فهموا أنه مؤيد للرسوم الكاريكاتورية المسيئة"[26]. تضاف إلى ذلك زيارة وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان القاهرة في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر، ولقاؤه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، ووزير خارجيته سامح شكري، وشيخ الأزهر أحمد الطيب، وتصريحه في مؤتمر صحفي جمعه مع نظيره المصري "لقد أشرت إلى الاحترام العميق للإسلام. ما نحاربه هو الإرهاب، إنه اختطاف الدين، إنه التطرف"[27].

إن الاتجاه الأول هو أقرب للترجيح، فخطاب بعض أفراد الطبقة السياسية في فرنسا ضد الأقلية المسلمة ومعتقداتها ورموزها تكرر عدة مرات، وهو في تصاعد واضح، وهذا يعني جلب ردود من الأفعال والاحتجاجات الرسمية وكذلك الشعبية المحسوبة وغير المحسوبة في فرنسا وحول العالم.

---

[24] خطة ماكرون لحماية القيم الفرنسية تثير الرفض بين المسلمين، دوتشه فيله، تاريخ الزيارة: 2020/11/4
https://www.dw.com/ar/خطة-ماكرون-لحماية-القيم-الفرنسية-تثير-الرفض-بين-المسلمين/a-55127656

[25] عبد الرحمن شلقم، "الإسلام والمجتمع الموازي في فرنسا،" العربية نت (تشرين الأول/ أكتوبر 2020)،
https://www.alarabiya.net/ar/politics/2020/10/21/الاسلام-والمجتمع-الموازي-في-فرنسا

[26] ماكرون يتفهم صدمة المسلمين من رسوم الكاريكاتور، دوتشه فيله، تاريخ الزيارة: 2020/11/6
https://www.dw.com/ar/ماكرون-يتفهم-صدمة-المسلمين-من-رسوم-الكاريكاتور-ويدين-العنف/a-55459681

[27] وزير الخارجية الفرنسي يشدد من مصر "على الاحترام العميق للإسلام" ويؤكد أن باريس تحارب "الإرهاب واختطاف الدين"، فرنسا 24، تاريخ الزيارة: 2020/11/8
https://www.france24.com/ar/الشرق-الأوسط/20201108-وزير-الخارجية-الفرنسي-في-القاهرة-للتهدئة-بعد-أزمة-الرسوم-الكاريكاتيرية